نظره ، شكلا من الكلاسيكية الغربية · في هذه الحال ، يصبح مصير العرب « مرحلة ميتافيزيقية للغرب » · وبيرك يستوحي هذا الموقف الثاني · صحيح انه يشير في اكثر من موضع الى الاصالة المتفردة للاسلام والعرب ، ويلح على هذه العلاقة التي تجعل العرب جد قريبين وجد بعيدين عن اوروبا · لكن ذلك لا يعدو ان يكون تصريحات مبدئية متأخرة بعض الشيء بالنسبة لبيرك ، وهذا غير هام ·

ان مصير العرب ، عند بيرك ، يتمثل في كون التاريخ فاجأهم وفي كونهم وصلوا الى المسرح العالمي وهو محتل من الحضارة الصناعية ·

ماذا يعني الانسحاب التاريخي للعرب طوال عصور « الانحطاط » ؟ ومنذ متى اصبح انسحاب الكينونة يعني تأخرا ؟ تأخر بالنسبة لاي شيء ؟ لا يهتم بيرك بالاجابة على مثل هذه الاسئلة ويتابع طريقه الى امام · انه يحب ان يحلم بعالمية ، و « بنسق للكون » من شأنهما ان يحفظا تعدد الثقافات والمجتمعات · انه يحلم بجدلية « للموحد والمتعدد » ، ويدعو الى تصفية مطلقة للاستعمار باعتبار ان ذلك يعني : « اعادة اضفاء الطبيعة على الثقافة ، واعادة تثقيف الطبيعة : وهذا هو المعنى الحقيقي لتصفية الاستعمار ، وكذلك لجميع الثورات » (ص ٣٥٥) ·

لكن ما معنى العالمية بما هي كذلك ؟ هل يظن بيرك (هذا الطوبوي عند المناسبة) بان منطق التقنية وارادتها في القوة يمكن مراقبتهما ؟ ان ما نعانيه على الاصح ، هو علامات استعباد فظيع للشعوب ، المصنعة وغير المصنعة · استعباد ندركه لا كتشخيص اخروي ، بل كارادة للقوة تتمدد داخل كينونته الخاصة · مهما يكن ، فاننا لا نريد التبشير بأية غائية ولا نريد ان نوجه اية صرخة قانونية (نسبة الى فرانز فانون) · وفي جميع الاحوال ، يتحتم علينا ان نسير الى ما لا نهاية · واثناء هذه المسيرة ، سنكون مشدودين الى حلم ازدواجية اللغة · الا ان جوهر الشعر هو كونه غير قابل للترجمة · كيف نقترب وننصت الى هذا اللاقابل للترجمة ؟

لقد تساءل الشاعر الالماني هيردر Herder في القرن الثامن عشر : « اين هو المترجم الذي سيكون ، في آن واحد ، فيلسوفا وشاعرا وعالما لغويا ؟ لا بد ان يكون نجمة الصباح لعهد جديد في تاريخنا » ·

معنى ذلك انه لا بد ان يكون المرء مثل نيتشه ليكون مترجما ، اي ان الترجمة هي سعادة استثنائية جدا ، بحيث لا تتم الا من حين لاخر في تاريخ الانسانية · هل يجب ان يكون المرء شاعرا وفيلسوفا اذا كان مستشرقا بكيفية جذرية ؟ نعم ، عندما لا نفصل الفكر عن اللغة التي تؤويها ، ولا الدال عن مدلوله ، ولا الشكل عن المادة · بلا شك نجيب بالايجاب عندما نشق طريقنا نحو فكر للمغايرة · فالنص وحده قادر على اعطاء الكلمة للمغايرة · لماذا ؟ ذلك ان اللغة التي تنقل لغة اخرى ، يجب ان تتحول اثناء هذه الرحلة مع بقائها هي ذاتها · انه تحول غريب ومرعب عندما تنتمي لغتان الى مصادر لسنية متباينة ، والى حركتين ميتافيزيقيتين مختلفتين · وفي هذه الحالة ، لكي يكون النقل واضحا ومقروءا ، فانه يتحتم على هذه الغرابة ان تخضع لفكر مزدوج للمغايرة ، ولتباعد جذري · وبدون هذه الجذرية ، يظل النقل نقلا ، ويظل الاخر اخرا بدون ان يصير داخل نفسي كتجذر جديد وكمنبع لكينونتي ·